



سر الدموع الغالية

تأليف ورسوم
عبد الرحمن بكر



سر الدموع الغالية

امتدت يداها المرتعشان نحو كومة البيض المتكسر ، وأخذت تُحيطه بأصابعها الحانية ، ظلت تُمرر يدها فوق الكومة كمن يتحسس رأس يتيم ، وعقلها البسيط لم يعد قادرًا على أن يُدرك أن ما تحيطه بيديها ما هو إلا صفار البيض اللزج الذى أغرق أرض الشارع .. لم تكن تبحث عن بيضة سليمة بين حطام البيض .. إنها فقط لا تصدق ما حدث ..!!

ترقرقت الدموع فى عينيها .. لكنها ظلت متماسكة .. لا تستطيع الانحدار ..

فقمة القسوة أن ينحبس دمع المظلوم .

فهى ليست بحاجة إلى الدموع .. فها هو وجهها الذى حفر الزمان عليه كل خطوط الشقاء يُعبر عن كل شيء .

نظرت إلى الكومة وكأنها تحدثها.. وكيف لا؟.. فهما يفهمان بعضهما جيدًا لأن كلاهما مكسور..؟

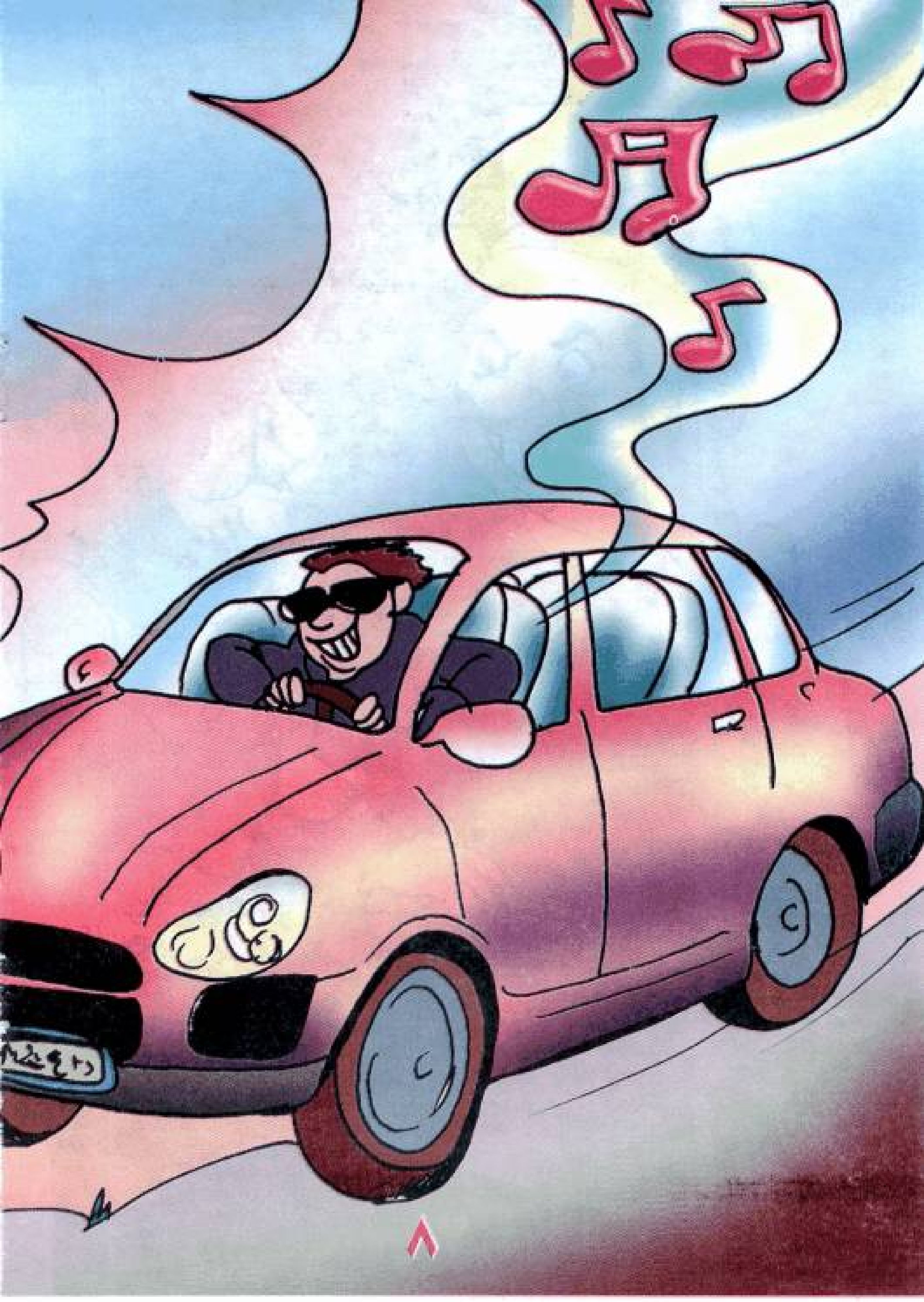
مر بخيالها للحظات طيف أحفادها الصغار .. المنتظرين عودتها ليظهروا فرحتهم وهى تحمل لهم ما لذ وطاب ؛ حسن يحب البطاطا ، وهدى تحب الذرة .. يعرفان خطواتها على السلم الصغير .. يصيحان بأعلى صوت (جدتى جاءت جدتى جاءت) فيختفى شقاء اليوم ، وتبقى الأحضان والقبلات ..


كيف ستعود ؟.
ومـاذا سـتحمل
إليهم؟.. بل كيـف
ستقوم من مكانها ؟
وإلى أين..؟
ما زال عقلهـا شـارد
لا يحسن التفكير ..

إنها تجلس هنا كل يوم من الصباح إلى المساء .. تُنادى البيض الطازج ، من يشترى البيض البلدى الطازج ؟.. وتبقى طيلة النهار.. تبيع وتبيع .. وفى النهاية تُحاسب التاجر صاحب البيض وتأخذ نصيبها من الربح فقط .. وها هى الآن لا تدرى ماذا ستعطى التاجر .. ولا بأى وجه ستعود إلى بيتها .. ما أقسى الظالم ..

ارتعش ذراعها وهى تحاول منع تراب الأرض أن يمتص صفار البيض .. وكأنه من الممكن أن يعود .. ليته يعود .. ولكنه القدر ولا بد من الرضاء به ..





بالفعل لقد حدث كل شيء فى لحظة واحدة..

حين انطلق الشاب المدلل بسيارته الفارهة .. بسرعة هائلة يشق أرض الشارع ويقطع طرقات الميدان .. وصوت مذياع سيارته أعلى من صوت ضميره .. لم تكن أحلامها بحاجة لأكثر من لمسة صغيرة من سيارته لتتحطم ..

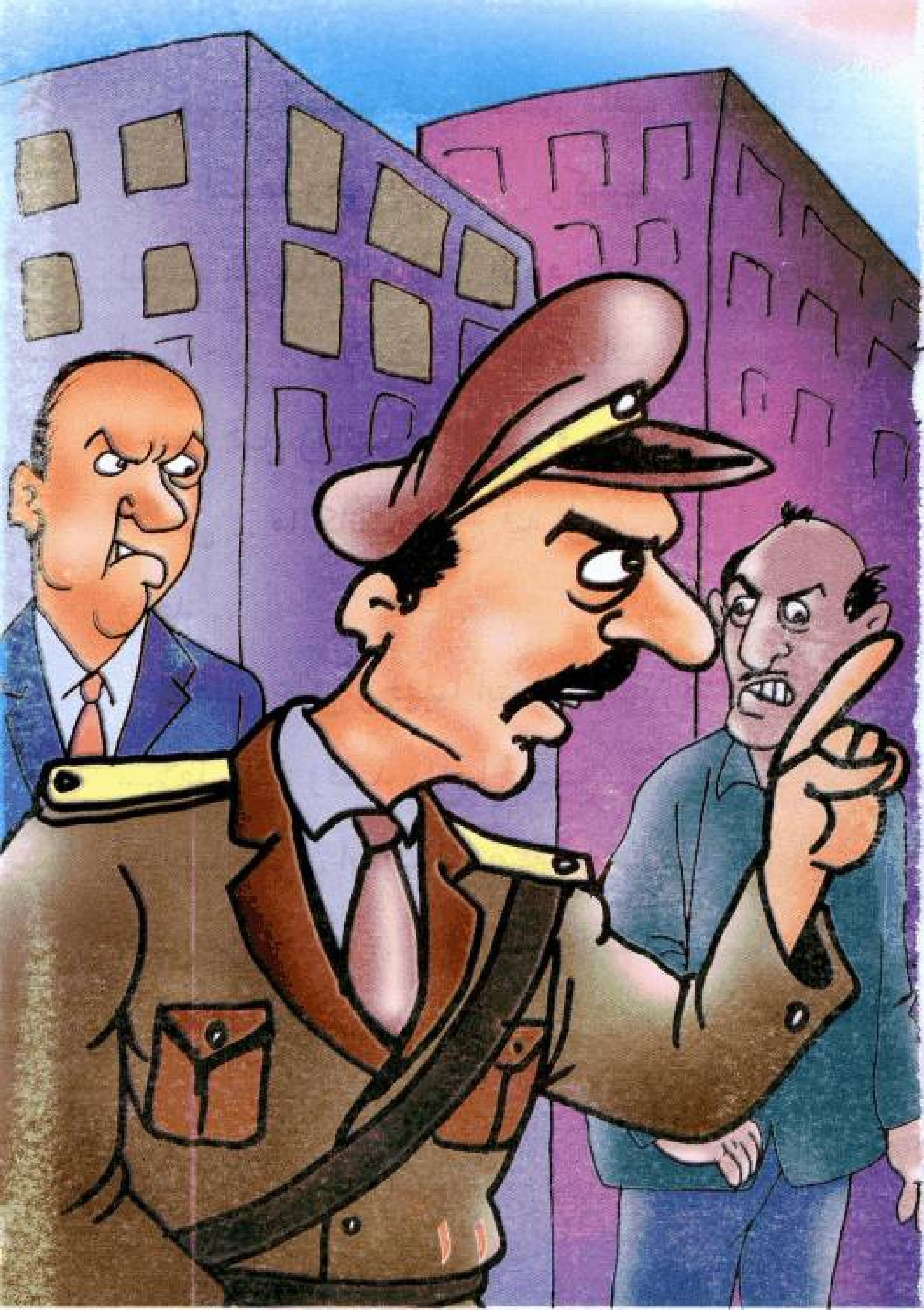
لكن كيف يمكنها أن تنسى نظرته الباردة نحو حطام البيض .. وهو يضحك ويكمل طريقه ..

الشارع ممتلئ بالناس يروحون .. ويجيئون يمرون عليها طوال الوقت .. يتحاشون أن يصيب صفار البيض اللزج أحذيتهم اللامعة ..!؟

منهم من يرق قلبه فتمتم شفتاه بكلمات الأسف .. ومنهم من يَعبُر على حذر..

انتبهت على صوت الشرطى يصرخ .. هيا اجمعى البيض المتكسر كى لا يجتمع عليه الذباب.. يكفى الشارع ما به من قاذورات .. أنت انهضى .. ولا تتركى شيئًا على الأرض .

هنا أفاقت .. وأدركت أن الواقع مرير .. وأن الأحلام لم يعد لها مكان فى دُنياهم.. فلاذت بالصمت.. وحاولت مرة أخرى دموعها أن تنزل لكنها تماسكت فقد علمها الزمان أن تتحمل الصعاب ..



وبهدوء أخذت تجمع الصفار الملـوث بالـتراب فوق الكومة وهى جاثية على ركبتيها .. فعلاً إنها ليست من هذا الزمان .. الأيام تتغير .. والنفوس أيضًا تتغير .. ولا تبقى إلا الذكريات ..

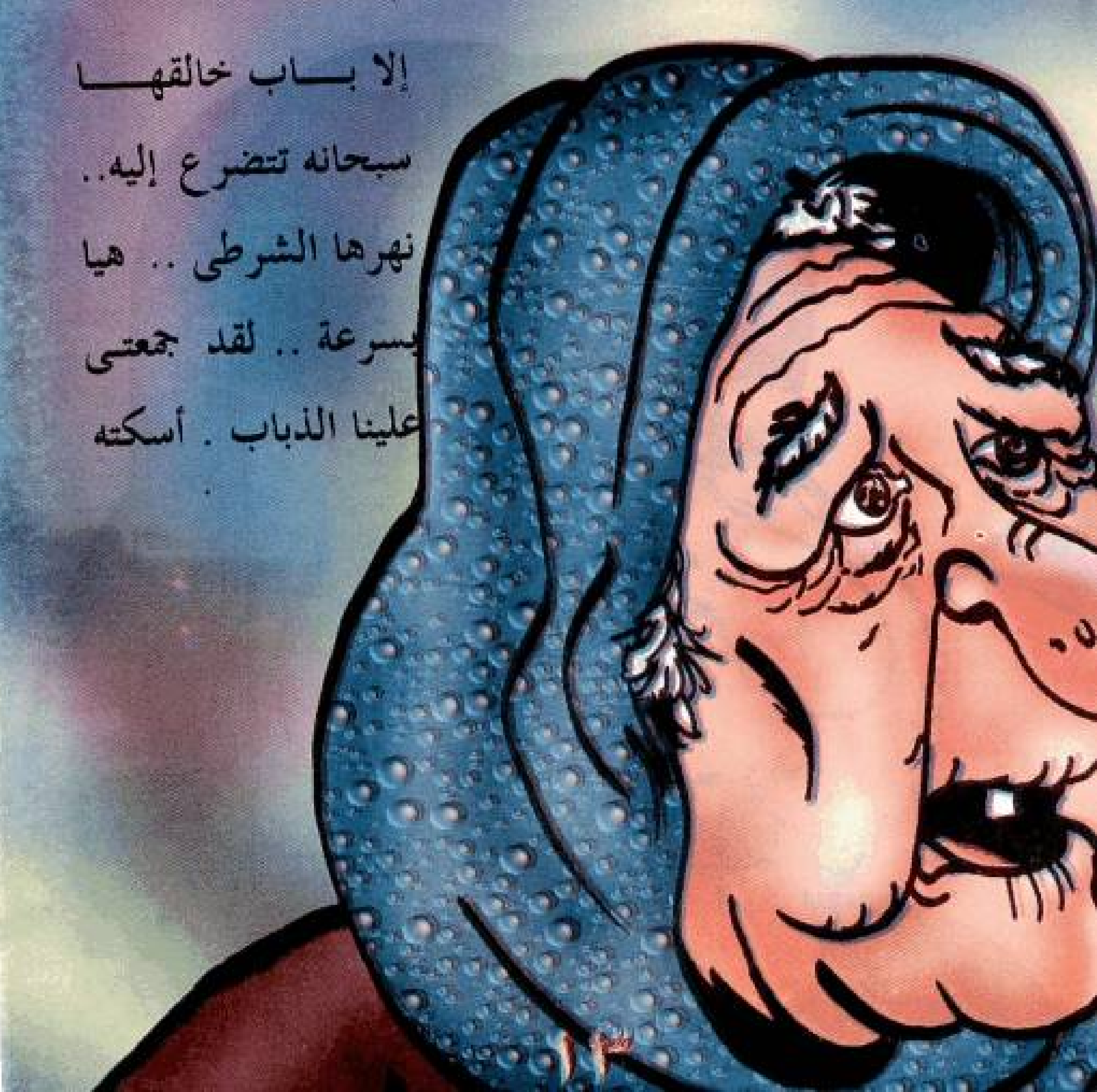
ما أجمل زمانها .. الناس فيه طيبون مثل الأرض .. ما كانت تحتاج فيه إلى شىء .. فالكل واحد ..

لاحت على وجهها ابتسامة مريرة .. ماذا ستفعل الآن وقد راح الجميع .. لم يبق من أحبابها سوى ابنتها المريضة وحفيديها .. إنها تشقى من أجلهم .. رزقها قليل لكنه الرضا فى

قلبها لا يزيد ولا ينقص ، قد ملك عليها كيانها كله وزرعته فى قلوب ذريتها.. فلم تقبل يومًا مساعدة من مخلوق ..

وها هى الآن "قلت حيلتها" ولم يتبق أمامها بابًا إلا باب خالقها سبحانه تتضرع إليه..

نهرها الشرطى .. هيا بسرعة .. لقد جمعتى علينا الذباب . أسكته



بعض المارة .. واتهموه بقسوة القلب .. لم تفكر فى كل هذا .. فقد كانت تحاول التماسك قدر الإمكان .. لكنها انكمشت فجأة فى مكانها.. وتوقف عقلها عن التفكير .. وارتعشت



يداها الضعيفتان وتوقفا عن الحركة .. حينما امتدت إليها يدًا بعشرة جنيهات .. ارتجفت أصابعها وهى تمسك النقود كما لم ترتجف من قبل .. نظرت فى عين الرجل .. حاولت أن تتكلم .. أن ترد يده .. لم تستطع .. فسالت دموعها .

* * *





سلسة أسرار للصغار

تأليف ورسوم / عبد الرحمن بكر

١ - سر وجوتى

٢ - سر ابتسامة فادى

٣ - سر شجرة الأصدقاء

٤ - سر حذاء الفقير

٥ - سر بستان الحياة

٦ - سر المنجم الماكر

٧ - سر العضلات الجبارة

٨ - سر الذئب

٩ - سر الدموع الغالية

١٠ - سر الحطاب الجديد

١١ - سر الخياط العجوز

١٢ - سر الشجاعة

١٣ - سر اتحاد الاصدقاء

١٤ - سر العملات الذهبية

١٥ - سر اختفاء أخى

١٦ - سر البائع الماهر

١٧ - سر عروسة الذرة

١٨ - سر الدلو المسحور

١٩ - سر خدعة البخيل

٢٠ - سر الحكايات القديمة

٢١ - سر عرين الأسد

٢٢ - سر العجوز الوحيدة

٢٣ - سر البلورة المسحورة

٢٤ - سر كنز القرصان

٢٥ - سر شجرة الزيتون

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن
٥٠ قرشا